كتب قداسة البابا شنودة الثالث



www.st-mgalx.com



عيدالغطاس والقدان

The Epiphany & St. John The Baptist

Jan. 1997

1st. Print

Cairo

يناير ١٩٩٧ الطبعة الأولى

القاهرة

الكتاب: عيد الغطاس والقديس المعمدان.

المؤلف : قداسة البابا شنوده الثالث

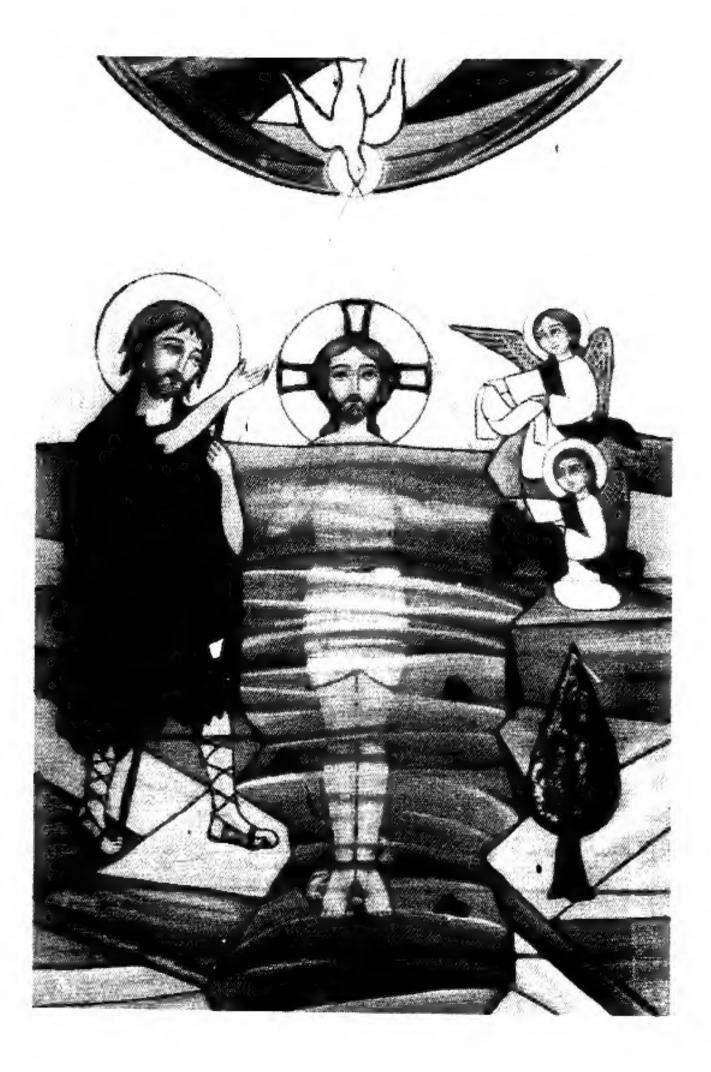
الناشر : الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية بالعباسية ،

رسم الأيقونة : تاسوني سوسن

الطبعة : الأولى يناير ١٩٩٧م .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست العباسية .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٧/٢٥٠٤ 5 - 37 - 5345 - 977



تأملات في جير لالغطاس لاجحير

يحمل إلينا شهر يناير عدداً من الأعياد : عيد رأس السنة، وعيد الميلاد، وعيد الختان، وعيد الغطاس .

نشكر الله إذ أعطانا بركة كل هذه الأعباد وفاعليتها في حياتنا. وإذ نحتفل بعيد الغطاس المجيد، يسرنا أن نقف عنده قليلاً للتأمل:

إنه عيد الغطاس أو عيد العماد ...

هذا العيد يسمونه أيضاً بعيد الظهور الإلهى (الثبيتوقاتيا) .

إذ فيه ظهر الثالوث القدوس: الإبن يعتمد، والآب من السماء يقول "هذا هو إينى الحبيب الذي به سررت، والروح القدس يظهر على هيئة حمامة" (مت٣: ١٦، ١٧). ولذلك فإن عماد السيد المسيح يُظهر عقيدة الثالوث..

وهكذا يكون العماد دائماً باسم الثالوث .

حسب قول الرب لتلاميذه قبل صعوده "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت٢٨: ١٩). ولم يقل بأسماء، لأن الثلاثة واحد" كما ورد في (ايو ٥: ٧) "الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والسروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد.

A A

وحسناً أن الكنيسة سمت هذا العيد بعيد الغطاس.

لأنها بذلك تذكر الشعب فيه أن السيد المسيح تعمد بالتغطيس، كما قيل إنه لما اعتمد "صعد للوقت من الماء" (مت٢: ١٥). وتذكرهم أيضاً بأن المؤمنين في العهد الجديد يتعمدون بالتغطيس، وتذكرهم أيضاً بأن المؤمنين في العهد الجديد يتعمدون الخصي (وليس بالرش، كما عند بعض الطوائف). وهكذا تعمد الخصي الحبشي في بداية العصر الرسولي على يد فيلس "ولما صعدا من الماء، خطف روح الرب فيلبس" (أع٨: ٣٩).

وأيضاً لأن المعمودية صبغة (باللاتينية Baptisma)، والصبغة تتم بالتغطيس. ولأن المعمودية دفن مع المسيح (كـو ٢: ١٢)، والدفن يتم بالتغطيس في القبر. ولا يمثله أبداً الرش بالماء ...

كذلك في كل الآثار القديمة.

نجد أنه كان العماد يتم في جرن يسمى (جرن المعمودية). وهذا

ونذكر في هذا العيد الكثير من المعانى الروحية والعقائدية، سواء بالنسبة إلى عماد السيد المسيح من يوحنا المعمدان، أو أهمية المعمودية في الكنيسة ...

نذكر أيضاً أن السيد الرب تقدم إلى معمودية يوحنا وهو غير محتاج إليها.

إنما ليكمل كل بر، ليكون بلا لوم أمام الناس، حتى و هو غير محتاج. وهنا يضع أمامنا مبدأ الطاعة ومبدأ الإلتزام، دون أن نسأل ماذا يفيدنا ؟

وأيضاً دخل معمودية يوحنا لكى ينوب عنا، كما صام عنان، وكما صلب عنا!

كثير مما كان يفعله، كان من أجل غيره، وليس من أجل نفسه. لقد ناب عنا في أن يقدم لله الآب صورة للإنسان الكامل، يرضى الأب بحياته، كما يرضيه بفدائه للبشرية .

承 承

ونحن في عماده : نذكر تواضعه ..

ونذكر محبته والترامه، ورفته في الحديث مع يوحنا، إذ يقول له (اسمح الآن). على أن معمودية السيد المسيح، إنما تذكرنا بمعموديتنا نحن أيضاً . وبعمق اهتمام الكنيسة بالمعمودية .

قالمعمودية هي الأولى في أسرار الكنيسة وباب الدخول إلى باقى الأسرار .

والعامة يقولون "تصريها فلانها" أى عمدنها. لأنه بالعماد صار نصرانياً .. وهو تعبير سليم في معناه اللاهوتي يذكرنا بقول السيد المسيح "من آمن واعتمد خلص" (مر ١٦: ١٦) .

لذلك يوم العماد هو يوم عيد بالنسية إلى الطفل وأسرته .

وفى هذا اليوم تمنحه الكنيسة ثلاثة أسرار مقدسة هى المعمودية والميرون (المسحة المقدسة)، وسر النتاول أيضاً. وتمهده للمشاركة في حياة الكنيسة . ويصبح عضواً فيها، ويأخذ أول شهادة كنسية في حياته .

وتعين الكنيسة للطفل المعمد أشبيناً يتولى رعايته روحياً، وغلاباً ما تكون الأم هي أشبينة طفلها .

وتتعهد الأم أمام الله والكنيسة أن ترعى طفلها فى خوف الله، وتكون هى المعلم الأول له، تلقنه كل أمور الدين، وتدربه عليها عملياً.

* *

تواضع الرب فني المعمودية

معمودية يوحنا كانت معمودية التوبة . ولم يكن السيد المسيح محتاجاً إلى توبة. فلماذا تعمد؟

تعمد نائباً عن البشرية في الدخول إلى معمودية التوبة...

كما صنام عنا، وهو غير محتاج إلى صنوم .. وكما منات عننا، وهو غير مستحق للموت ...

A A

وكال ذلك ليقدم للأب صدورة كاملة للبشرية، ويدفع ثمن خطاياها.. كذلك هو أيضاً تقدم إلى المعمودية الكي يكمل كل بر ومت الكي الكي يكمل كل بر (مت الكي الكي الكي الكي يكون أمام الكل خاضعاً للناموس، مع أنه فوق الناموس ...

وهكذا سار مع الشعب، كواحد منهم متقدماً إلى معمودية التوية .

أى تواضع هذا، الذي يقدمه الرب لنا؟! ولما اعتفى يوحنا، وقال أنا المحتاج أن أعتمد منك" أجابه الرب "اسمح الأن.."

وبنفس الوضع سمح أن أمه العذراء المثالية في طهرها، التي ولدته من الروح القدس بغير دنس، تتقدم "لما تمت أيام تطهيرها" لتقدم محرقة (لو ٢: ٢٢) .. وما كانت هي محتاجة إطلاقاً إلى أيـام تطهير ...

إن السيد المسيح ما كان خاطئاً ليتقدم إلى معمودية التوية. نكنه كان (حامل خطايا) . حمل خطايا العالم كله .

وبهذا شهد عنه يوحنا الذي عمده (يو ١٩ - ١٩) .

لقد حمل المسيح خطايا العالم ، ونزل بها إلى المعمودية. وكذلك حمل هذه الخطايا على الصليب، ومحاها بدمه ... "كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش٥٣) .

المدد المسيح مع أنه بار بلا خطية، وقد تحدى اليهود فيما بعد قائلاً لهم "من منكم يبكتنى على خطية" (يو ٨: ٤٦) ... لكنه تمم طقس معمودية التوبة. ولم يشذ عن هذا العمل الروحى الذى تقدمت اليه الجماهير التائبة. فوجدناه يسير كما سار باقى الشعب الخاطئ متقدماً نحو معمودية التوبة .

كلهم تعمدوا معترفين بخطاياهم. أما هو فتعمد حاملاً خطايا الشعب كله .

وفعل هذا، لئلا تمسك عليه غلطة أو يحسب عليه نقص. وأيضاً

ليكمل كل برا .

A A

بنفس التواضع أيضاً "لكي تكمل كل بر" ، سلكت والدته القديسة العذراء أيضاً .

فقد ورد فى قصمة دخولها به إلى الهيكل "ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى ليقدموه للرب .. ولكى يقدموا نبيحة كما قيل فى ناموس موسى زوج يمام أو فرخى حمام" (لو ٢ : ٢٧- ٢٤)

عجيب أن تقال عن العذراء عبارة "ولما تمت أيام تطهيرها"..!! هذه التي قدّس الروح القدس مستودعها أثناء الحبل المقدس. فحلبت به بلا دنس الخطية الأصلية .. وما كانت تحتاج مطلقاً إلى تظهير.. ولكنها - لكي تكمل كل بر - خضعت لوصية الناموس، وهي غير محتاجة إلى ذلك .

حقاً هناك أمور لا يكون الإنسان ملزماً أن يعملها، ولكنه يفعل ذلك : لكي لا يعثر الأخرين، ولكي يكمل كل بر ..

* *

ومن تواضع الرب أيضاً ، أنه نال العماد من يوحنا .

رئيس الكهنة الأعظم ، ومانح الكهنوت ، نال المعمودية من أحد كهنته، من أحد أو لاده .. من إنسان اعترف قائلاً له "أنا المحتاج أن أعتمد منك" (مت ٤: ١٤). كما اعترف قائلاً "تست مستحقاً أن أنحنى وأحل سيور حذاته ...

A A A

كهنوت السيد المسيح ملكى صادقى، وملكوت يوحنا هارونى . والمعروف أن كهنوت ملكى صادق أعظم من كهنوت هارون، كما شرح معلمنا القديس بولس الرسول في (عب٧) . كما أن ملكى صادق بارك أبانا ابر اهيم، الذي كان هارون في صلبه (عب٧). ومع ذلك بكل تواضع تقدم الذي هو كاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق (مز١١٠: ٤) لينال المعمودية من أحد أو لاد هارون ! وفي هذا أيضاً توقير منه للكهنوت في عصره .

A A

حقاً إن قصة العماد مملوءة بأمثلة عديدة من التواضع .

من تواضع الرب أيضاً ، أنه بعد كل الأمجاد التي ظهرت أثناء عماده، في شهادة الأب، وحلول الروح القدس، وشهادة يوحنا ... بعد كل هذا صبعد إلى الجبل . ليجرب من الشيطان ، وسمح للشيطان أن يجربه، بكل جرأة ، أو على الأصبح بكل كبرياء ...

وردَ عليه الرب بكل هدوء . وبتواضعه قهر كبرياء الشيطان ... 🖈 🛣

ومن تواضع الرب أنه خضع للناموس في السن كما في العماد.

* *

أنتظر حتى بلغ سن الثلاثين حسب الناموس، وما كان أسهل عليه أن يبدأ قبل ذلك بسنوات طويلة، وهو الذى في سن الثانية عشرة أذهل الشيوخ المعلمين، فبهتوا ممن فهمه وأجوبته (لو ٢: ٤٧)... ولكنه أنتظر إلى سن الثلاثين، وأنتظر حتى أعتمد، وحتى قضى فترة خلوة على الجبل.. ثم بدأ العمل ...

تواضع المسيح منذ بدء رسالته ، ليرد على خطية آدم الأول .

آدم الأول استجاب للإغراء في أن يصير مثل الله (تك٣: ٥).

وهذا لون من الكبرياء بلا شك. فجاء السيد المسيح ابن الله، في شبه الناس، في صورة عبد (في٢: ٧) يسلك في إتضاع، في مولده في مزود يمثل الفقر. (لو٢: ٧). وكذلك في عماده من عبده يوحنا المحتاج أن يعتمد منه ...

A A

ويوحنا المعمدان الذي عمده كان متواضعاً ...

على الرغم من أنه كان عظيماً. وقد شهد له الرب نفسه

بالعظمة، وشهد له ملاك الرب أيضاً، كما سنرى .

عظمكةالمعتمدان

كثيرون شهد لهم الناس بالعظمة وكانت شهادات زائفة وخاطئة أو جاهلة أو متملقة ...

أما يوحنا المعمدان فإن الذي شهد له بالعظمة هو الله وملاكه .

قال عنمه مملاك المرب الذي بشر أباه زكريا بميلاده "ويكون عظيماً أمام الرب" (لو ١: ١٥) .

عجيبة هذه العبارة جداً "أن يكون عظيماً أمام الرب"، الذي أمامه يقف كل إنسان شباعراً بضاآلته، كما قال أبونا ابراهيم "عزمت أن أكلم المولى وأنا تراب ورماد" (تك١٨: ٢٧).

عبارة "عظيماً أمام الرب" لا تعنى شعوره هو بعظمته، إنما تعنى أن الرب قد منحه عظمة لكي يقف أمامه .

وهكذا لصقت العظمة بيوحنا من قبل أن يولد بشهادة الرب.

أعمال عظيمة قيلت عن هذا النبى العظيم: منها أنه "يرد كثيرين إلى الرب إلههم" "يرد العصاة إلى فكر الأبرار" "يهيئ للرب شعباً مستعداً" "يهيئ الطريق قدام الرب" "يتقدم أمامه بروح إيليا وقوته" . ويهيئ للرب شعباً مستعداً" (لو ١: ١٦، ١٧) "وكثيرون يفرحون بولادته" ...

وفى كل نلك نسأل الملك الذي بشر بميلاده عن سر هذه العظمة العجيبة، فيجبنا بقوله أنه ...

* * *

من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس (لو ١: ١٥).

حقاً، هذا هو سر عظمة يوحنا . سمعنا في الكتاب المقدس أن الروح القدس حل على كثيرين: حل روح الرب على شمشون (قض١٠: ٢٠)، وعلى شاول (١صم١: ١٠، ١١)، وعلى داود (١صم١: ٢٠)، وعلى كثير من الأنبياء. ولكن لم نسمع مطلقاً عن أحد منهم أنه "من بطن أمه" قد أمتلاً من الروح القدس". نلاحظ هنا استعمال عبارة "امتلاً من الروح"، وليس مجرد حلول الروح عليه. هذا الأمر قد اختص به يوحنا المعمدان. لم يسبقه إليه أحد. ولكن لعلنا نسأل:

متى إمتلاً المصدان بالروح القدس من بطن أمه ؟

كان ذلك فى قول الرب "ولما سمعت أليصابات سلام مريم، أرتكض الجنين فى بطنها، وإمتلأت أليصابات من الروح القدس" (لو ١: ٤١) .. وصرخت أليصابات وقالت للقديسة مريم "حين صار

صوت سلامك في أذني، أرتكض الجنين بإبتهاج في بطني" (لو ١: ٤٤) .

فى هذه اللحظة، لحظة سلام مريم والدة الإله إمتلاً يوحنا بالروح القدس وهو في بطن أمه .

بالروح أحس بالجنين الإلهى فى عطن العذراء، وابتهج بمه وكأنما ركض للقائه!! وقيل إنه أرتكض بابتهاج، كما قال الرب لليهود "أبوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومى، فرأى وفرح" (يوه: ٥٦) . العجيب هذا أن أليصابات أحست بأن جنينها إرتكض بابتهاج في بطنها، يمكن أن تحس جسدياً بحركة (إرتكض) .

أما عبارة (بابتهاج) فقد ظللت حائراً أمامها فترة .

حائراً أمام أمرين . أولهما ابتهاج الجنين .. مشاعر جنين في بطن أمه! والأمر الثاني هو أن الأم تحس بأن حركة جنينها في داخلها هي حركة ابتهاج !!

لاشك أنها موهبة من الروح ، إذ قبل عن أليصابات في تلك اللحظة إنها كانت قد "إمتالات من الروح القدس" (لــو١: ١٤). وبالروح يمكن أن يوهب لها هذا الإنكشاف.. وهذا تزول حيرتي..

وعظمة يوحنا المعمدان لم يشهد بها ملاك الرب فقط. إنما أكثر

من هذا، شهد بها رب المجد ذاته حينما قال: "ماذا خرجتم لتنظروا، أقصية تحركها الريح، لكن ماذا خرجتم لتنظروا، إنساناً لابساً ثياباً ناعمة، هوذا الذين يلبسون الثياب الداعمة هم في بيوت الملوك، لكن ماذا خرجتم لتنظروا، أنبياً، نعم أقول لكم وأفضل من نبى، فإن هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك ، الحق أقول لكم نم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان" (مت ۱۱: ۷ - ۱۱) .

قال عنه الكتاب أيضاً إنه ملاك:

أو هو المملك المذى يهيئ الطريق قدام الرب" (مـر ١: ٢) ، وشهد بهذا اللقب السيد المسيح نفسه (مت ١٠: ١٠) .

ووردت عنه النبوة في سفر ملاخي النبي : "هانذا أرسل ملاكي، فيهيئ الطريق أمامي" (ملا": ١) .

كان أيضاً كاهناً من بني هارون، إيناً لزكريا الكاهن ...

A A A

ولعل أعظم ما في حياة يوحنا أنه عمد السيد المسيح له المجد أتى اليه السيد المسيح ليعتمد منه كباقى الناس .. ومن أجل الطاعة قام يوحنا بعماد المسيح . واستحق أن يرى الروح القدس

بهيئة حمامة، وأن يسمع صوت الآب قسائلاً "هذا هو اينسي الحبيب الذي به سررت" (مت٣: ١٦، ١٧) وهكذا تمتع بالثالوث القدوس روحاً وحساً ...

*** ***

بل إن الله أرشده إليه قبل العماد :

وفى هذا يقول القديس يوحنا المعمدان : "وأنا لم أكن أعرف. لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء قسال لمى: الذى ترى الروح نـازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذى يعمد بالروح القـدس. وأنـا قـد رأيـت وشهدت أن هذا هو ابن الله" (يو ١: ٢٣، ٢٤) .

• •

وتظهر عظمة يوحنا المعمدان في أنه تمم عمله العظيم في مدة قصيرة لعلها سنة أشهر أو أزيد قليلاً ...

هذه السنة أشهر هي الفرق بين عمره وعمر السيد المسيح جسدياً، حسبما قال الملك جبرائيل في تبشيره للعذراء بالحبل المقدس. "وهوذا أليصابات نسيبتك هي أيضاً خبلي بابن في شيخوختها. وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً" (لو ١: ٣٦).

وكل من المعمدان والمسيح بدأ عمله في نحو الثلاثين من عمره.

خدم يوحنا هذه السنة أشهر .

ولما ظهر المسيح بدأ يختفى هو ، وفى هذه المدة الوجيزة استطاع هذا القديس أن يهدى كثيرين إلى التوبة، وأن يشهد بشهادة قوية للرب، وأن يمهد الطريق أمام المسيح. وقدم للعالم كله مثالاً عملياً بأن :

قوة الخدمـة نيت في طولها، وإنما في عمقها ، وفي مدى فاعليته ومدى تأثيرها وثمرها ..

أليس عجيباً أن كثيراً من الخدام النافعين ، لا يتركهم الرب يخدمون طويلاً!! يكفى أنهم قدموا عينة ممتازة للخدمة والبر. قدموا مثالاً يحتذى به. واكتفى الرب بما قدموه، وأطلقهم بسلام .

وقد قدم يوحنا مثالاً ممتازاً للخدمة الجادة، وللروحيات العميقة، تتسم منها الله رائحة الرضى، وصرفه بسلام .

* *

وتبرز عظمة يوحنا في أنه عباش بكماله على الرغم من أن جيله كان مظلماً ...

كان عصراً شريراً. وكان أشر ما فيه قادته الروحيون من أمثال كهنة اليهود ورؤسائهم والكتبة والفريسيين والصدوقيين . وقد قام فيه من قبل بعض المعلمين الكذبة مثل ثوداس ويهوذا الجليلي اللذين نكلم عنهما غمالاتيل (أع٥: ٣٦، ٣٧) وقد أزاغا كثيرين .

وكان عصراً يتميز بالحرفية والبعد عن الروح. ويتصف رجال الدين فيه بالرياء والكبرياء. وعلى الرغم من وجود أضواء بسيطة مثل سمعان الشيخ وزكريا الكاهن وحنة النبية، إلا أن العصر في مجموعه كان فاسداً، وصفه الرب بأنه "جيل فاسق وشرير" (مت ١٢: ٣٩).

ولكن القديس يوحنا لم يتأذ من فساد جيله ، بل على العكس كان بركة لجيله وسبب هداية له وتوية .

* * *

ومن عظمة يوحنا أنه كان ابن الجبال تربى على حياة الزهد والنسك ..

وعاش فى البرارى طوال عمره "إلى يوم ظهوره لإسرائيل" "ينعو ويتقوى بالروح" (او ١: ٨٠) .. عاش ناسكاً "خمراً ومسكراً لا يشرب" (او ١: ١٥) "يلبس وبر الإبل، ومنطقة من جلد على حقويه" (مر ١: ٢) . ويأكل عسلاً برياً .

وفى البرية تعلم الصعلاة والتأمل، وتعلم الشجاعة وعدم الخوف، وأيضاً الصعلابة والإيمان. وتعلم القوة الناتجة عن الزهد ...

* *

أعده الله في البرية ، كما أعد العذراء في الهيكل .

فنشأ شجاعاً لا يهاب إنساناً .. يصلح أن يكون صلحب رسالة. كان يقول الحق بكل قوة، و لا يهمه ماذا تكون النتائج ...

أخطأ هيرودس الملك . ولم يكن يجرؤ أن يوبخه أو يواجهه بالحق سوى يوحنا المعمدان . فكان الوحيد الذى قال لهيرودس: "لا يحل لك أن تأخذ إمرأة أخيك" (مت ١٤:٤) .

ألقاه هذا الملك في السجن، فلم يهتم . إن ناسكاً مثله زهد كل شئ، لا يخاف السجن، حتى لمو تعطلت خدمته، وكان فكره في ذلك:

إن كان الله يريده أن يخدم قسيخدم. وإن كان الله لا يريد فنتكن مشيئته. المهم أن يشهد للحق .

وكان ما كان .. وقطعت رأس بوحنا المعمدان، ولكن هذا الصوت الصارخ في البرية ظل يدوى في أذن هيرودس، يزعج ضميره وأفكاره ونومه وصحوه، ويقول له في كل وقت "لا يحل لك" .

A B B

صوت يوحنا لم يمت بموت يوحنا .

وظل هيرودس يخاف يوحنا حتى بعد موته . فعندما وصلت إلى علمه كرازة المسيح القوية ومعجزاته، قال لغلمانه: إن هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات، ولذلك تعمل به القوآت!! (مت؟ ١: ٢).

إن يوحنا قد عامل هيرودس كالباقين : شهد له بالحق، لأنه كان محتاجاً إلى هذه الشهادة ...

وفي توبيخه للملك، شابه إيليا النبي .

ايليا وبسخ أخاب الملك على عبادته للأصدام (امل ١٧: ١٧، الله الدي هددته بالقتل (١٨). وتعرض بهذا لغضب زوجته إيزابل التي هددته بالقتل (١٨ل ١٩: ١، ٢). ويوحدا المعمدان وبخ هيرودس الملك، وتعرض بنلك فغضب هيروديا التي أراد الزواج بها. فتسببت في قتله (مت ١٤: ١- ١١).

وهكذا سلك يوحنا بروح إيليا وقوته" (نو ١٠ (١٧) .

ونادى قائلاً لملناس "توبوا فقد اقترب ملكوت السموات" (مت٣: ٢) .. وكان شديداً في رسالته، يوبخ وينتهر ويبكت وكان الناس يقبلون تبكيته بقلب مفتوح .

وفى ذلك يقول الكتاب: "لما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم يا أولاد الأفاعى من أراكم تهربون من الغضب الآتى، فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة. ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأتى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار" (مت٣: ٧- ١٠).

أيقوب نَ المعهدان

أيقومة المعمدان هي أيقونة عماده للمسيح ..

ولكن البعض يرسم أيقونة ليوحنا المعمدان كملاك بجناحين وهو يحمل رأسه على طبق في يده .

ونلك على اعتبار قول الكتاب عنه إنه الملك الذي يهيئ الطريق قدام الرب (ملات: ١) (مر ١: ٢). وهو حقاً كذلك . أما حمله رأسه بيده على طبق . فهذا حق لأن الشهداء يحملون آلامهم. ولكن هذه أيقونة تأملية وليست أيقونة طقسية .

والمفروض أن الأيقونات التي توضع في الكذائس أن تكون أيقونات طقسية . ولذلك رفضت أن أدشن أيقونة مثل هذه في بعض كنائس المهجر، فلماذا ؟

عظمة يوحنا المعمدان ليست لأنه دُعى ملاكاً. فكل رعاة الكنائس دعوا ملائكة، كما أعطى الرب هذا اللقب لكل ملائكة الكنائس السبع في أسيا (رو1: ٢٠) (رو٢، ٣).

وليست عظمة يوحنا المعمدان في أنه كان شمهيداً يحمل آلامه، ففي الكنيسة عشرات الآلاف من الشهداء، بل ملايين .

* *

لكن عظمته الحقيقية، في أنه عمد المسيح، الأمر الذي انفرد به عن باقى القديسين. ولذلك صار لقبه المعمدان .

لذلك الكنيسة المقدسة لا تسميه يوحنا الملاك، ولا يوحنا الشهيد، ولا يوحنا النبي، وإنما تسميه يوحنا المعمدان.

فالأيقونة الطقسية التي توضع له في الكنيسة هي صورت وهو يعمد المسيح. كما أن عماده للسيد المسيح هو عيد سيدى تحتفل به الكنيسة . والأباء الكهنة يبخرون أمام أيقونة العماد هذه. ويقولون له كلما يخرجون بالبخور من الهيكل "السلام لك يا يوحنا بن زكريا، الكاهن ابن الكاهن".

لا يوجد قديس مثله تسلم عليه الكنيسة في كل رفع بخور عشية
 وباكر، وفي كل قداس.

عماده للمسيح

وكان أعظم عمل للقديس يوحنا هو عماده للسيد المسيح .

وهذا نرى موقفين عظيمين في الإنضاع. الأول هــو مجــئ المسيح ليعتمد من عبده يوحنا. والثاني هو هذا النبــي العظيم يقـول

للسيد "أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتى إلى !!" (مت٣: ١٤). أنا أيضاً خاطئ ، محتاج إلى معمودية التوبة .

أمّا أمام هؤلاء الناس معلم، أما أمامك أنت، فأمّا تلميد . أمامهم أنا تبي وملاك، وأما أمامك فأنّا تراب ورماد.

أتا أمامهم كأهن، وأما أنت فمصدر كهنوتي وكل كهنوت .

4 4

ال كل العظمة التي أحاطت بيوحنا، وكل الشعبية الجبارة التي كانت له ، لم تنسه ضالة ذاته أمام المسيح ...

لقد فعل كأمه أليصابات حينما قالت للعذراء "من أين لى هدا، أن تأتى أم ربى إلى".

a a

قال يوحنا للرب "أما محتاج أن أعتمد منك". ولم يقل لـه الـرب إنه غير محتاج، بل قال "اسمح الآن، وهي عبارة عجيبة تخرج مس فم الرب موجهة إلى واحد من خدامه.

إنه في رقة ولطف، يقول له : لست آمرك ، إنما أطلب سماحك، أطلب موافقتك .. لكي نكمل كل بر ...

لاأدكا

ونجح المعمدان في خدمته "خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن، واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم" (مت٣: ٦) .

طبعاً الوحيد الذي لم يعترف بحطايا حينما تقدم إلى العماد، كان هو المسيح. إذ لم تكل له حطايا مطلقاً لكي يعترف بها .

ولما رأى يوحنا الجموع قد كثرت حوله، حول أنظارهم منه إلى المسيح . وهو يعنى (لا أنا) .

بذل كل جهده لكى يختفى هو، ويظهر المسيح ، ولعل هـذه هـى أبرر قضائل هذا القديس وأعمق أعماله .

كان يقول للنباس "أنبا أعمدكم بمناء للتوبية، ولكن الذي يبأتي بعدى.. سيعمدكم بالروح القدس ونار ' (متي ١١) .

وكما كان يجذبهم إلى معمودية أخرى أفضل من معموديته، كان يجذبهم بالأكثر إلى صاحب تلك المعمودية .

قَائِلاً إنه أقوى منه وأعلى وأقدم .

فقال "یاتی بعدی من هو أقوی مدی، الدی لست أنا أهلاً أن أنحدی وأحمل سیور حذائه" (صر ۱: ۷). "یاتی بعدی رجل صمار قدامى، لأنه كان قبلى" (يو ١: ٣٠). "لست أنا المسيح، بل إسى مرسل أمامه" (يو ٣: ٢٨).

ولم يقل المعمدان هذا كله كمجرد كلام إتضاع .

أى أن يهبط بمستوى ذاته أمام الماس ..

فالإنتضاع الحقيقى - كما يقول القديسور - هو أن يعرف الإنسار ذاته. ويوحنا المعمدان في كلامه المتصع، كان يعرف تماماً من هو؟ ومن هو المسيح؟ وكان يتكلم عن صدق وعن اقتناع ...

كان "أعظم من ولدتهم النساء". ولكنه هو، وكل من ولدتهم السناء، هم جميعهم أمام المسيح مجرد حدام، حتى الملائكة ... كما يقول الرسول "وأيصاً متى أدخل النكر إلى العالم ، يقول : ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب 1: ٦).

4 4

لم يبحث هذا القديس عن مجد ذاته إنما عن ملكوت المسيح .

كان يدرك أنه ليس هو الدور، إيما ليشهد المنور (يو ١: ٨) ليؤمن الكل بواسطته، كان يعرف أنه مجرد سابق أمام موكب الملك الآتى، كل عمله أن يعد الطريق للملك .

واستطاع يوحنا أن يحفظ طقسه ، ولا يتجاوز حدوده . ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿

كانت الذاتية ميتة عنده ، وكان المسيح هو الكل في الكل .

إنه درس الخدام النين يبنون ذواتهم على حساب الخدمة، أو يتخذون الحدمة مجرد مجال الإطهار ذواتهم !!

أروع كلمة تعبر عن خدمة يوحنا، هي قوله عن المسيح "ينبغي أن ذاك يزيد، وأنى أنا أنقص" (يو ٣: ٣٠). وقال عنه أيضاً "الذي يأتي من فوق، هو فوق الجميع. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع" (يو ٣: ٣١، ٣٢). مشيراً بنلك إلى لاهوت السيد المسيح، لأنه أتى من السماء من فوق، لذا هو فوق الجميع، بما فيهم يوحنا أيصاً ...

لذلك عندما بدأت كرازة المسيح ، وأخنت تكتسح جو الخدمة، ابتهج يوحنا وفرح (يو٣: ٢٩) .

وقال : فرحى قد كمل "من له العروس، فهو العريس" أما أنيا فمجرد صديق للعريس، أنظر من بعيد وأفرح .

وهكذا سلم العروس للعريس .

سلمه الكنيسة التى أعدها لمه بالتوبة، وسلمه تلاميذه ايضاً، وأنسحب من الميدان فرحاً، مسلماً القيادة للرب .

على أن يوحنا فيما كان يتضع ، كان يرتفع .

حسب قول السيد المسيح "من يرفع نفسه يتضع، ومن وضع نفسه يرتفع" (مت٢٣: ١٢) . وإذ وضع يوحنا نفسه، وقبال اينبغى أنى أنا أنقص". لذلك رفعه الرب، وجعله أعظم من ولدنه النساء"...

طبعاً يقصد أعظم من ولدته النساء (من الرجال) أو (من الأنبياء). لأن القديسة العذراء بالشك هي أعظم منه. وهي ممن ولدتهم النساء ...

* * *

نحن في عيد الغطاس أيضاً ، نذكر معموديتنا نحن :

معموديتنادخس

مصوديتنا هي غير معمودية يوحنا .

ليست هي مجرد معمودية للتوبة . نلاحظ أنه لما كرز القديس بولس الرسول في أفسس، سأل التلاميذ فيها 'بماذا اعتمدتم؟ فقالوا بمعمودية يوحنا . فقال لهم أن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده أي بالمسيح يسوع. فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع (أع١٩: ٣- ٥) .

معموديتنا هي ميلاد من الماء والروح .

كما قال الرب يسوع لنيقوديموس 'إن كان أحد لا يولد من الماء والروح، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله (يو ٣: ٥) ، ويقول عنها القديس بولس الرسول '. بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد

الثاني وتجديد الروح القدس' (تي٣: ٥) .

ومعموديتنا هي موت وقيامة مع المسيح .

كما يقول الرسول إلى إهل كولوسى عن المسيح 'مدفونين معه في المعموية، التي فيها أقمتم أيضاً معه (كو ٢: ١٢) .

وقال نفس المعنى لأهل رومية 'أم تجهلون أنسا كل من اعتمد ليسوع المسيح، اعتمدنا أيضاً لموته. فدفنا معه بالمعمودية للموت. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته (رو ٦: ٣- ٥).

والموت هذا يعنى موت إدماننا العنيق.

كما يقول الرسول "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلّب معه ليبطل جسد الخطية (رو٦: ٦) .

في معموديتنا ننال الخلاص.

كما قال الرب 'من أمن واعتمد خلص ' (مر ١٦: ١٦) .

وكما قال القديس بولس الرسول "بل بمقتضى رحمته خلصنا، بفسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس (تى ٣: ٥) . وكما قال القديس بطرس الرسول عن الفلك .. الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس بالماء، الذى مثاله يخلصنا نحن الأن أى المعمودية (ابط٣: ٢٠، ٢٠) .

والخلاص في المعمودية ، يعنى الخلاص من جميع الخطايا قبل المعمودية. ويعنى هذا التبرير والتجديد .

الخلاص من الخطية الأصلية الجدية ، والخلاص من جميع الخطايا الفعلية قبل الخطية. والتجديد يعنى تجديد طبيعتنا (رو ٦: ٤).

ومصوديتنا ، كما يموت فيها الإنسان العتيق ، يقوم إنسان جديد على شبه المسيح .

وعن هذا قال القديس بولس الرسول 'لأن جميعكم الذين أعتمدتم للمسيح، قد لبستم المسيح، (غل٣: ٢٧). أى لبستم ما فيه من بر ... (وهنا عمل التبرير في المعمودية).

يركة القديس يوحنا المعمدان تكون مع جميعنا.

وكل عام وجميعكم بخير ،،



فالكاب

يمهم الآب والاين والروح القدس الإله الواحد آمين تقرأ في هذه النبذة

عن الموضوعات الآتية:

۱ -- تاملات فسی

عيد الغطاس المجيد .

٢ - تواضع الـرب
 في المعمودية .

٣- عظمة المعمدان

٤ - معمودية يوحنا

٥- أيقونة المعمدان.

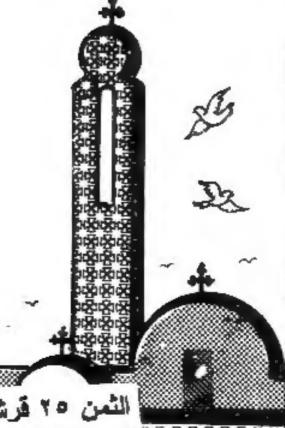
٣ – عماده للمسيح.

∨ - (لا أنــــــا) :

اختفاء يوحنا ليظهسر

المسيح .

۸ - معمودیتنا نحن
 البابا شنوده الثالث



SI

